

الجبرية ونشأة فكرة الجبرية في الإسلام

صالحى عاشر موسى

قسم الآداب والعلوم الإنسانية، كلية تعليم المستمر جامعة بايرو،

كانو، نيجيريا

salihiashiru@gmail.com

07039403817

ملخص:

الجبرية يقولون بإثبات القدر، وأنكروا أن يكون للعبد فعلٌ حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار ولا فعل، كما اتَّهموا الله بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليهم، واتهموه بالبعث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، وهذا يقتضي أن العبد لا يلام على كفره ومعاصيه. هذا، ولا يخفى ما في هذا القول من تصادم مع النصوص الشرعية وما يؤدِّي إليه من فساد. إن هذه الدراسة تهدف إلى بيان مفهوم الجبرية، الذين يرون أن الإنسان لا حرية له ولا اختيار في أفعاله، بدليل أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان وما يكتسبه من فعل، فالإنسان، على هذا، لا يستطيع أن يختار ما يريد من أفعاله، لأن الله تعالى قد قدر له كل شيء تقديراً فهو يسير على هذا القدر شاء أم أبى. ويسعى البحث كذلك إلى مناقشة تاريخ نشأة فكرة الجبر في الإسلام، كما يناقش حرية الفكر ومنزلته في الإسلام، وأهمية الوسطية،

وخطورة الغلوّ في الدين، والأخذ بالعقيدة الصحيحة لدى المسلمين.

مقدمة:

الجبرية تقول بإثبات القدر، حتّى أنكروا أنّ يكون للعبد فعلٌ حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار، ولا فعل، كما اتّهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليهم، واتهموه بالبعث في تطليّف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، وهذا يقتضي أن العبد لا يلام على كفره ومعاصيه، هذا ولا يخفى ما في هذا القول من تصادم مع نصوص الشرعية وما يؤدّي إليه من فساد. فتهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الجبرية، الذين يرون أن الإنسان لا حرية ولا اختيار له في أفعاله، بدليل أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان وما يكتسبه من فعلٍ، فعلى هذا، فالإنسان لا يستطيع أن يختار ما يريد من أفعاله، ولا وقتٍ محدد للكسب، بل الله تعالى قادرٌ على كل شيء، وخالق كل شيء، ويسعى البحث إلى مناقشة تاريخ نشأة فكرة الجبر في الإسلام، كما يكشف البحث عن تحديد حرية الفكر ومنزلته في الإسلام، وأهمية الوسطية والأخذ بالعقيدة الصحيحة لدى المسلمين، وأخيرًا محاولة نقاش آراء علماء الإسلام من الجبرية، وخطورة الغلوّ في الدين، ذلك أنّ المؤمنين نهوا أن يغلوا في دينهم.

ويتكوّن البحث من الآتي: المقدمة، وأربعة مطالب: المبحث الأول نشأة فكرة الجبرية وآراؤها والمبحث الثاني حرية الفكرة ومنزلتها في الإسلام، والمبحث الثالث مواقف دولتي الأموية والعباسية من فكرة الجبرية، والمبحث الرابع عبارة عن بيان أهمية الوسطية والأخذ بالعقيدة الصحيحة لدى المسلمين، ثم تأتي التوصيات والخاتمة، وكل مطلب يشتمل على مناقشة آراء الجبرية وأدلتهم، وبالتالي آراء منكري الجبرية وأدلتهم، بناءً على المصادر الأساسية من قبل الجبرية والمصادر الإضافية من منكري الجبرية، وذلك ليتصف البحث بالموضوعية، والرجوع إلى الأدلة من الكتاب والسنة إن شاء الله.

المبحث الأول: نشأة فكرة الجبرية وآراؤها:

الجبرية: ضد الاختيار، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب الخالق، والجبرية فرقة ومدرسة إسلامية كلامية وعقدية، وقد نسبت إلى الجبر بسبب ما ذهب إليه من آراء وعقائد، وذلك نظرًا إلى قولها: إنّ العبد مُجَبَّرٌ في فعله، وليس له حرية ولا إرادة ولا اختيار، ولا قدرة له على فعل ما، وأنّ الله تعالى هو فاعل أفعال العباد، فنسبوا لهذه المقالة لأنها أشنع ما ذهبوا إليه.¹ لكن المعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثرًا في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبريًا،

ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها: جبريًا، إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرًا. والمصنفون في المقالات عدّوا "النجارية" و"الضرارية" من "الجبرية"، وكذلك جماعة "الكلامية": من "الصفاتية" و"الأشعرية" سموهم تارة "حشوية" وتارة "جبرية".²

والقول بالجبر ليس وليد هذه المدرسة، وليست هي أول من تعتقد به، فإن القول بالجبر اشتهر عن بعض أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى بالشام فتم اعتناقها ثم نشرها بين الناس بالبصرة، وقد سمعها عنه "الجهم بن صفوان" فصار من أكبر دعاةها.

وقد قال بها المشركون على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقال تعالى: "سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظنّ وإن أنتم إلا تخرّصون". (سورة الأنعام، الآية: 48). فالقول بالجبرية قال به أهل الأديان السابقة، وكذلك قال به المشركون، ثم انتقل إلى البيئة الإسلامية، ولم يكن الجعد بن درهم أول القائلين به في الإسلام فقد سبق بالقول به بعض الناس لكن الجعد هو أول من نظم القول به ومهّد له، ودعا إليه، ومن ثم جعل منه مذهبًا، وكانت المقالة على يده وتتلّمذ فيها على يد يهودي اسمه

طالوت بن أعصم ثم نبشر الجعد هذه المقالة
بالبصرة وتبعه بعض الناس، ثم جاء تلميذه الجهم
بن صفوان فأخذ المذهب وزاد فيه أمورًا.³
ومن أهم آراء الجبرية قولهم إن العباد في
أفعالهم مجبورون، وكل ما يصدر عنه إنما يصدر
عنه اضطرارًا، فليس للإنسان إرادة أو قدرة أو
اختيار. فهو كما يقولون كالريشة المعلقة في الهواء
يسيرها الهواء حيث يشاء، كذلك العبد هو في يد
القدر يسيره حيث يشاء، فجميع أفعال العبد
اضطرارية، والله تعالى أوجد الفعل في العباد كما
أوجده في الجمادات والنبات، وإذا نسبت الأفعال
إلى العبد فإنما تنسب إليه مجازًا باعتبار المحل ولا
تنسب إليه حقيقة. هكذا، كما تنسب الأفعال إلى
النبات والجمادات، فقولك نبت الزرع، وأثمرت
الشجرة، وسقط الحجر كلها إسنادات مجازية من
باب إسناد الشيء إلى محله. وقال "الجبرية إن
التكليف جبرٌ والحساب جبرٌ، والثواب جبرٌ، والعقاب
جبرٌ، والعبد لا صلة له بهذه كلها سوى أنه محل لها،
والفاعل والمريد هو الله".⁴ يقول الجهم بن
صفوان: "إنَّ الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف
بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة
له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى
الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر
الجمادات كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء،

وطلعت الشمس وغربت وتغيّمت السماء
وأمرت، واهتزت الأرض وأنبئت إلى غير ذلك".⁵
ومن آرائهم قولهم بأن القرءان حادث مخلوق
كما زعمت المعتزلة، وفيهم الصفات الأزلية عن
الله سبحانه وتعالى، لكنهم لا يصفون الباري تعالى
بصفة يوصف بها الخالق، لأن ذلك يقتضى تشبيه
الله تعالى بالمخلوقين ولذلك نفوا وصف الله تعالى
بأنه حي، عالم، سميع، بصير، غنيّ حكيم رحيم، نفوا
هذه الصفات عن الله تعالى، وما يماثلها مما
يوصف به الخلق. ومن آرائهم نفي رؤية الله في
الآخرة، وأن حركات أهل الخالدين في الجنة أو النار
تنقطع، وأن الجنة والنار تعنيان بعد أن يتنعم أهل
الجنة، ويتعذب أهل النار للمدة التي قدرها الله
تعالى.⁶ واستدلوا على فناء الجنة والنار بقوله
تعالى: "خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا
ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد، وأما الذين
سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ". (سورة
الهود، الآية: 107). ويرون بأن الإيمان يتحقق
بمجرد المعرفة، حتى ولو لم يقر اللسان، أو جحد
اللسان، فمن عرف بقلبه فهو مؤمن، حتى لو أنكر
وكفر بلسانه.

والمعرفة عندهم تجب بالعقل قبل ورود
السمع، إذ أن العقل يمكنه معرفة الخير والشر
ويدركهما، ويمكنه أن يصل إلى معرفة ما وراء

الطبيعة والبعث. وأما مسألة خلق القرآن - إنَّ القرآن كلام الله سبحانه وتعالى وإنه مخلوق لله، لا يجوز أن يقال: إنه مخلوق، ولا إنه خالق. وقال قومٌ آخرون من المتكلمين لا يقال غير مخلوق أيضًا، كما لا يقال: مخلوق الآن الصفات لا توصف. وقال قوم إنَّ القرآن على ضربين: إن كنت تريد المسجوع فقد خلق الله سبحانه الصوت المقطع، والمرسوم القرآن، وأما القرآن ففعل الله مثل العلم والحركة منه لا هو، هو ولا هو غيره. وقال آخرون إن القرآن كلام الله، وهو حدث، وليس بمُحدث، وفعلٌ وليس بمفعول، وامتنع أن يزعم أنه خلق، ويقول: ليس بخلق ولا مخلوق، وإنه قائم بالله ومحال أن يتكلم الله سبحانه بكلام قائم بغيره، كما يستحيل أن يتحرك بحركة قائمة بغيره، وكذلك يقال في إرادة الله ومحبه وبغضه إن خلل أجمع قائم بالله. ذلك أنه لا يتصور في العقل أن يقال أن القرآن مخلوق لأنه عمل من أعماله سبحانه وتعالى وصفة له جلَّ وعلا.

المبحث الثاني: حرّية الفكر ومنزله في الإسلام:

الفكر عبارة عن إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة، وهو بهذا يكون قد جعل الفكر مرادفًا للتأمّل والتدبّر. وإمام الحرمين الجويني يرى أن الفكر هو الذي يطلب به ما قام به

علمًا أو غلبة ظن، والنظر ينقسم إلى صحيح وفاسد. ولا شك أن النفس تلاحظ المعقولات، فلذا الفكر عبارة عن الحركة والنظر والملاحظة. والفكر هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والإستباط والحكم ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري.⁷

إذًا كان الفكر من أهم ميزة يتميز بها الإنسان بين سائر الدواب، فإن الفكر السليم من التراث الإسلامي الرائع الذي ما زالت الأمة الإسلامية تتمتع به، وهكذا نرى فلاسفة الإسلام دافعوا بفكرهم السليم عن الإسلام ضد الفلسفات والأفكار الهدامة مثل الزندقة والشعوبية التي وردت إلينا من كل مكان منذ أواخر الدولة الأموية وامتدادًا مع الدولة العباسية وإلى اليوم.

وأما منزلة الفكر في الإسلام فعالية، إذ أن الإسلام عني بالفكر غاية العناية، وقد أعطى للإنسان حرية تفكير، إذ من حقّه الطبيعي أن يفكر، وليس مقبولاً أن يخشى الإسلام التفكير، وهو يدعو إليه، ولا تناقض بين الاثنين، فالإسلام دين العلم والعقل معًا، فليكن للعقل سلطانه، وليكن للعلم سلطانه، لكن الفكر في الإسلام مفيد، كما أن استدراك الإنسانية مفيد.⁸ والمعقول أن للفكر والعقل منزلة ودور فعال في الشرع - لأنّ العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال،

لذلك كانت سلامة العقل شرطاً في التكليف، والأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المختلفة للعقل باطلة، فالعقل هو المدرك لحجة الله على خلقه، ولا يصح تكليف ولا استدلال ولا حكم بدون أعمال العقل والتفكير والتدبر ولا يمكن أن يصدر حكم صحيح يخالف العقل الصريح، بل جعل الإسلام العقل إحدى ضرورات الخمس التي يجب حفظها ورعايتها، ولذا كثر في القرآن تحفيز العقل واستشارته، كما في قوله سبحانه وتعالى: "وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون" (سورة الأنعام، الآية: 98). كما جعل صفة أصحاب النار أنهم لا يعقلون: "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير" (سورة الملك، الآية: 15). من خلال ما سبق عن حرية الفكر ومنزلته في الإسلام نعرف أنه لا يمكن أن يخالف العقل الصريح النقل الصريح، بل يوافقه ويسانده ويدل عليه. فكل رأي خالف النقل الصحيح فهو رأي غير صحيح، إذ لو جاز للعقل أن يخطئ النقل لم يكن للحد الذي حده النقل فائدة، ومن ادّعى أن النقل خالف العقل في مسألة فهو لا يخلو من أحوال: منها - أن ما ظنّه معقولاً ليس بمعقول، بل هو شبهات توهم أنه عقل صريح، وهو هوى لابس لبوس العقل، كما قال تعالى جلّ وعلا: "فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتَّبعون أهوائهم ومن أضل

- ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين." (سورة القصص، الآية : 50).
- أن ما ظنّه نقلاً صحيحاً ليس كذلك، إما لعدم صحة نسبته، أو لعدم فهم المراد منه على الوجه الصحيح.
- أو أنه لم يفرّق بين ما تستحيله العقول وما تختار فيه، فالشرع يأتي بما تجار فيه العقول وتعجز عن إدراكه، ولكن لا يأتي بما تستحيله العقول وتمنعه، فإذا لا تعارض بين العقل الصحيح والنقل الصريح الصحيح، والفكر مهم في الإسلام ويؤدّي إلى فهم النصوص ومقاصدها ثم الاستنباط منها في حدود ما تقتضيه النصوص والأدلة، وأن ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأصل.

المبحث الثالث: موقف الدولة الأموية والعبّاسية من الجبرية:

من المعلوم أن اتساع الطلب والحركة العلمية والبحوث والتطلع الفلسفي الواضح كان وليد ازدهار الفكر، والفكر وليد فكرة القدرية والجبرية والمعتزلة وكثير من الأفكار والعقائد الفلسفية الجديدة التي ليس لها أصل في العهد النبوي، فلهذه الحضارات منافع، لكن هي وليدة لكثير من المذاهب الضالة، التي ورثت للمسلمين التفرّق

الذي ما زالت الأمة الإسلامية تواجه تحدياته وعبه مسيره.

وكان للحركة العلمية في العصر الأموي دور كبير وبارز في التمهيد للنهضة العلمية التي سادت في العصر العباسي، ولقد كان للفكر مرتبة عالية عند السلاطين في هذا العهد، فعلى الرغم من أن العصر الذهبي للعلوم والحضارة الإسلامية كان في العهد العباسي، وكان للأمويين دورٌ بارز في التمهيد لهذا الازدهار والتهيئة له، إذ أنهم وضعوا أسس التراث العلمي والفكري الذي بنى عليه العباسيون. ومن أهم التطورات الثقافية والفكرية حركة التعريب في عهد الملك بن مروان⁹ الذي جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة تستخدم في كل أصقاعها من المشرق والمغرب، كما أسهم الوليد كثيرًا بإنشائه المدارس والمستشفيات تحت رعاية الدولة التي أسهمت هي الأخرى في النهضة الإسلامية اللاحقة. وقد كان من أهم الإنجازات رفع العلم والفكر في الدولة الأموية والعباسية - تدوين العلوم في العصر الأموي وتعريبها للمرة الأولى، وهو ما أتاح للعلماء العرب والمسلمين فرصة الاطلاع عليها بسهولة. كان من أهم مجالات الازدهار في العصر الأموي: العلوم الدينية، واللغوية، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة الطب. وفي عهد الخليفة الوليد كان لحركة الترجمة دور كبير في نهضة الحضارة الإسلامية وتطور الفكر،

عندما أمر الملك بترجمة الكثير من الكتب
والصحائف من اللغات الإغريقية واللغات الأجنبية
الأخرى إلى اللغة العربية.¹⁰

أما في العصر العباسي فقد امتدّ التطور
الفكري وازدهر، وذلك لظهور كثير من العلماء
والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة
الترجمة واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع
في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات
الثقافية، وكانت الحياة العلمية الثقافية والفكرية
مزهرة على الرغم من الضعف الذي دبّ في الروح
السياسية في العصر العباسي الثاني، فقد امتزج
الفكر العربي مع الفكر الأجنبي. ومن الجدير بالذكر
أن المسلمين لم يكتفوا بمجرد الترجمة بل كانوا
يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه، كما أدّى
المسلمون بهذا دورًا كبيرًا في خدمة الثقافة
العالمية، وأنقذوا العلوم من الفناء، فأرسلوا هذه
الكتب إلى المعاهد والجامعات الأدبية حيث ترجمت
إلى اللاتينية، وهذا ما بنى عليه الأوروبيون نهضتهم
في القرن الوسطى. لقد وأنشئ في هذا العصر
"بيت الحكمة" وهو أول مجمع علمي وفيه مرصد
ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة، ووصل بيت الحكمة
إلى أوج نشاطه العلمي في التصنيف والترجمة في
عهد المأمون الذي أولاه عناية فائقة، ووهبه كثيرًا
من ماله ووقته، وكان يشرف عليه بنفسه ويختار
بين العلماء المتمكنين من اللغات ليقوموا

بالترجمة. ما سبق ذكره يبين موقف الدولتين الأموية والعباسية من الفكر، الذي هو من أعظم هبة الله على الإنسانية، وحيثما استخدمه الإنسان كما ينبغي سيكون خيرًا وعلاجًا لجميع المشاكل والأمراض التي توجّهة.¹¹

المبحث الرابع: أهمية الوسطية والأخذ بالعقيدة الصحيحة لدى المسلمين:

الإسلام دين الوسطية، قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً" (سورة البقرة، الآية 143). "الوسط - عبارة عن العدل في الخيار، ولذلك تشهد هذه الأمة على الأمم يوم القيامة، والوسط ما كان بين طرفين، فهذه الأمة بين طرفين من الأمم - طرف الغلو الذي في النصارى، وطرف التساهل الذي اليهود، وعلى هذا فإن الجبرية غَلَوْا في زعمهم أنّ الإنسان مجبورٌ وليس له اختيار في أعماله والتكليف عليه ظلم! وقد تساهل القدرية في زعمها أنّ للإنسان اختياراً في أعماله وليس لله قدرةٌ أن يدبّر له الأمور فلإنسان قدرة في أعماله وفي تنفيذه شاء الله أم أبى!! والله تعالى يقول: "وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم". (سورة الحج، الآية: 78). وحذر الأمة من التفريط، كما قال جلّ شأنه: "وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السبل

فتفرّق بكم عن سبيله. (سورة الأنعام، الآية: 153).
إن الله سبحانه تعالى يدعو إلى هذه الأمة إلى
الوسطية - الطريق الوحيد لسعادة الإنسانية في
الدارين، وقال: "والله يريد أن يتوب عليكم ويريد
الذين يتّبعون الشهوات أن يميلوا ميلًا عظيمًا.
(سورة النساء، الآية : 27).

وهذا رسول الهدى، معلم البشرية يخاطب فيدعو
إلى العقيدة الوسطية فيقول عليه السلام: "ما بال
أقوامٍ يقولون كذا وكذا أما أنا فأصلي وأصوم
وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس
مني".¹²

والوسطية التوازن العادل - وفي الحقيقة هذا
أكبر من أن يقدر عليه الإنسان، بعقله المحدود،
وعلمه القاصر - فضلًا عن تأثير ميوله، ونزعاته
الشخصية، والأسرية من حيث يشعر أو لا يشعر،
ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه الإنسان (بشر
فرد أو جماعة) من الإفراط أو بتفريط، كما يدل
على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ. إنَّ القادر
على إعطاء كل شيء حقه الحقيقي ماديًا أو معنويًا
هو الله، وقد قال: "إنا كل شيء خلقناه بقدر".
(سورة القمر، الآية: 49) وقال: "لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في
فلكٍ يسبحون". (سورة يس، الآية: 40).

والإسلام يريد من الأمة المسلمة أن تعكس
ظاهرة التوازن الكونية في حياتها وفكرها فتتميز

بذلك عن سائر الأمم. والإسلام في أيامنا هذه أحوج ما يكون إلى من يحسن عرضه على الناس والدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، وجوهو ذلك الاعتدال في الخطاب والحرص على كسب العقول والقلوب، وذلك لا يأتي إلا بالابتعاد عن الغلو والتفريط.

لقد كان ذلك من خصائص الإسلام وعلى رأسها الوسطية، كما أن أعداءه يرمونه بما ليس فيه من تطرف وإرهاب وإقصاء للآخرين وبث الكراهية والتعصب، ومما يؤسف له أن نفرًا ممن ينتسبون لهذا الدين يساعدون الأعداء في ذلك من خلال إساءتهم لتطبيق الإسلام تطبيقًا بعيدًا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك يسيئون إلى هذا الدين من خلال عرضه عرضًا سيئًا، مع أن الإسلام جاء ليرفع عن الناس الإصرى والأغلال، ويضمن لهم حياة طيبة ملؤها السعادة والاستقرار.¹³

التوصيات:

يجب على أبناء المسلمين يدرسوا الإسلام دراسة خالصة لوجه الله تعالى، وأن يوحدوا صفوفهم بقدر الإمكان حتى لا يجد أعداء الإسلام والمسلمين أية فرصة للنيل من الإسلام وعقيدته السمحة، فإنه من الأسف أن أعداء الإسلام اليوم يعملون ليل نهار ضدهم ضدّ المسلمين، ولا يتركون

فرصة إلا استغلُّوها نور الإسلام، وكثيرًا ما يساعدهم المسلمون في الحصول إلى مرامهم من أجل التفرق والاختلافات التي ما زالت بين المسلمين، حتى أصبحت هذه الأمة كالنار التي تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله.

على المسلمين أن يعرفوا بأن هذا الدين دين الوسطية بين الغلو والتفرط أو الإفراط، فعلى هذا يجب أن يقتدى بالسلف الصالح من العقيدة الوسطية كي توافق الدعوة الهدى الرباني على سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، كما يبدو أن كثيرًا ممن يزعم بالجبر، إنما يزعم في الأمور الدينية ويترك الدنيوية، لأنك لو ضربته وقلت له: "لم تكن هذه الفعلة على اختياري"، فإنه لا يرضى، وهكذا.

إن للعبد قدرة ومشئنة يتصرف بها تحت قدرة الله ومشئته، فهو على هذا يقدر بنفسه القيام بالعمل. ولكنّه لا يشاء ولا يفعل إلا ما أذن الله له فيه وقدره له، ويدل على هذا قوله تعالى: "ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله". (سورة التغابن، الآية: 11). وقول تعالى: "إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم" (سورة المائدة، الآية: 34)، وقوله: "لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله". (سورة التكويد، الآية: 28). وقوله عليه السلام: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم

يَضْرُوكُ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَفَعْتَ الْأَقْلَامَ
وَجَفَتِ الصُّحُفُ".¹⁴

الخاتمة:

تناولت المقالة الدراسة موجزة عن الجبرية التي تعتبر مدرسة كلامية وفلسفية تزعم بأن الإنسان مجبورٌ على أعماله وليس له اختيار فيما يفعله، بل القادر هو الله، فإنَّ الجبرية تزعم بأن الحساب لا حكمة فيه إذ أن العاصي لا يعصى الله باختيار منه. وناقشت الدراسة أيضًا تاريخ نشأة فكرة الجبرية والعوامل التي أدَّت دورًا في تطور الفكر بين الأمة الإسلامية، وتناولت كذلك إسهامات الدولة الأموية والعباسية في ذلك. يتضمن البحث المقدمة وأربعة مطالب والتوصيات والخاتمة. ومن نتائج هذا البحث: بيان موقف الإسلام من الوسطية ورغبته في بثِّ الأخلاق الحسنة في قلوب المسلمين كالمودَّة والمساواة وعدم التعصب بين أبناء هذه الأمة؛ وكذلك الإشارة إلى ذمِّ الغلو والتعصُّب في الدين، وأخيرًا الحثُّ على طلب العلم لا لأجل الجدل بل لله والدعوة كما يحب الله ويرضى.

الهوامش:

- 1 قريشي، عمر بن عبد العزيز، أصول الفرق الإسلامية، لا ت ط ، دار السلف الصلاح المنصورة - القاهرة، ص: 222.
- 2 الشهرستاني، أبو الفتح أحمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، 2014، دار التوفيقية، القاهرة، ص، 99.
- 3 قريشي، أصول الفرق الإسلامية، ص: 223
- 4 مزروعة، تاريخ الفرق الإسلامية، ص: 70
- 5 حجازي، عوض الله، محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ، ص: 18
- 6 حجازي، محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية، ص: 19-20
- 7 الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 2009م، 1430هـ، المكتبة العصرية، بيروت، ج 2 ، ص: 421
- 8 عرب، محمد صابر، حرية الفكر في الإسلام، ص: 4-5، لا ت ولا ط.
- 9 كوش، عمر، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، 2012م، ص: 26
- 10 ندوة علمية حول دور المسلمين في تقدم العلم والتكنولوجيا، 2007، ص: 10
- 11 عيسى، الحركة العلمية في العصر العباسي، إعداد المنتدى بذكر روادها وتحديد حواضرها،

- إعداد المنتدى شعبة العلوم التجريبية - كوميديا
جزائرية، الجمعة يناير 2010م.
- 12 الفوزان، صالح بن فوزان عبد الله، *الوسطية
في الإسلام*، مقالة ألقاها في كلية الشريعة،
www.alfauzan.af.org.sa
- 13 الإسلام دين الوسطية والاعتدال على مدى
الأزمان، خطب في قضايا معاصرة، ص: ح - 1،
تاريخ الإضافة 26 مارس 2017، موقع الراشد
alrashedoon.com تاريخ زيارة الشبكة:
11/04/2017.
- 14 رواه الترمذي.